

Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

عجائبية الشخصية في الرواية الجزائرية المعاصرة

The miraculous personality in the novelistalgerien

الدكتور: حراز العيد

(جامعة طاهري محمد بشار)، الجزائر

harraz1960@yahoo.com

الإيميل: harraz1960@yahoo.com

المؤلف المراسل: حراز العيد

تاريخ القبول: 19 سبتمبر 2023

تاريخ الاستلام: 07 جويلية 2023

الملخص:

لعلّ البحث في موضوع الشخصية العجائبية يواجه صعوبات معرفية متعددة، ذلك أن المقاربات النظرية والتطبيقية تكاد تجمع على أن للحكاية العجائبية خصائص متفردة – قد لا نظفر بها في الحكاية الواقعية – فهي تمتح من الواقع المتخيّل بجميع مرجعياته التاريخية والأسطورية والخرافية وهذا ما يضيفي على الحكوي مميزات نوعية تسرع بتفجير الأحداث، وتتيح للمبدع التحليق في عوالم اللاواقع للتعبير عن أزمات الإنسان المعاصر وواقعه المعيش.

الكلمات المفتاحية: العجائبية – الشخصية – الواقع – اللاواقع -المتخيّل – الأحداث –

Summary:

Perhaps researching the subject of the miraculous personality faces multiple cognitive difficulties, as theoretical and applied approaches are almost unanimous that the miraculous tale has unique characteristics - which we may not conquer in the real story - as it is erased from the imagined reality with all its historical, mythological and superstitious references..... and this is what It gives the narration qualitative characteristics that accelerate the explosion of events, and allow the creative to fly into the realms of the unreal to express the crises of contemporary man and his living reality.

Key words: miraculous - personality- reality - non-reality - imagined–events.

ومكانيًا، ومن هذا المنطلق لا يمكننا أن نتصور أيّ سرد دون وجودها البارز، إذ « ليس ثمة قصة في العالم من غير شخصيات

إضاءة نظرية:

تشكل الشخصية في الأعمال السردية محورا أساسيا، ووسيلة من وسائل تعبير المبدع يتخذ منها مطية للإدلاء بأرائه وأفكاره، ولا غرو إن كانت المحرك الفعلي لكافة الأحداث زمنيا

1

موجودة عند جميع الأشخاص، وفي شكلها الأكثر شيوعا وهو الحب، وأما التواصل فقد يتجسد في المساعدة مثلا، وأمّ الصراع فهو التبادل الذي قد يتجسد في الاعتراف.⁷ وحين كانت الرواية تهدف إلى تجسيد المعاني الإنسانية، فإنه من الطبيعي أن تكون الشخصية لبنيتها الأساسية التي تتمحور حولها فكرة بناء العمل الفني ذلك أن الكاتب لا يمكنه تصور خطاب سردي بمكوناته الأساسية- الزمان - المكان - و الأحداث من دون حضور مكون الشخصية ذلك أن جوهر كل عمل روائي لا يقوم أصلا إلا على مكون الشخصية باعتبارها « محلّ اهتمام القارئ والكاتب على حد سواء، فهي محط رحال الرؤية ومنبعها الرئيسي. كما أنها نقطة تقاطع عناصر البنية: زمنيا، ومكانيا، ووصفيا، ولغويا...فهي بؤرة النص الروائي التي يصعب تصور بنيته من دونها، فتعالق الشخصية مع غيرها هو المولد للدلالات الإيديولوجية. والربط للنص بسياقه التاريخي، والاجتماعي في مستوى الإنتاج والقراءة⁸ وبسبب الدور الذي تضطلع به الشخصيات في نمو المسار الزمني، والإطار المكاني لتشكيل الأحداث، وتحريك الواقع، فإنها لذلك تعدّ مكونا، وهي بمثابة الخيط الناظم، والحبل الواصل بين عناصر النص الروائي نظرا لما تقيمه معها من علاقات، ووشائج ذات أبعاد لغوية ودلالية.إنها بالفعل شخصية موجودة في واقعنا المعيش، لكن أفعالها وتصرفاتها هي من يلبسها لبوسا عجائبيّا محضا.

تعريف العجائبية:

غني عن البيان أنّ مصطلح العجائبي تناوشته تسميات عديدة تراوحت بين (الفنتازي والغرائبي والسحري) إلا أن الخيط الناظم بين هذه المصطلحات كون « الجامع المشترك بينها دلالاتها على الخارق والمألوف والعجيب.⁹ ومصطلح عجيب هو الأكثر تداولاً ولصوقاً بالحكاية كما يرى لويس فاكس (louis vax) لأنه «يُعدُّ خاصية ملازمة للحكاية الشعبية أكثر ممّا يُعدُّ خاصية للعجائبي إذ يمكن اعتبار الأول أصلا للثاني...ويضيف قائلا غير أن هذا الاستنتاج يبدو متسرعاً،

ومع هذا تواجه الباحث في هذا المكون صعوبات معرفيّة متعددة ذلك أنّ الشخصية الروائية الحديثة « ترفض الوصاية كما ترفض الافتعالات التي ليس لها سياقات حقيقية، وخطابها ليس هو خطاب الملف، ولكنه يجسد صوتها الحامل لسمات العصر الذي تتحدث فيه، فكل شخصية بتعبير جي ميشو هي سليله كاتها.² وهكذا تضطلع الشخصية بدور جليّ يتمثل في تحريك الأحداث وتطورها، لا لشيء إلا لأنها بمثابة « القطب الذي يتمحور عليه الخطاب السردى، وهي عموده الفقري الذي ترتكز عليه³ وتعدّ دراسة الشخصية من المباحث الأساسية « في عالم الإنتاج الأدبي، فهي تمثل وفي كلّ الحالات موضع اهتمام، ونقطة تركيز تقليدية، ومتوارثة للنقد القديم والمعاصر.⁴ »

ولعلّ ما ذهب إليه رولان بارت من أنّ « الشخصية نتاج عملي تأليفي، وهويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تخبرنا عنها الشخصيات الأخرى التي تشترك معها في الوجود داخل متن الحكاية: ويستطرد قائلا " لهذا فهي مجموع ما يقال عنها بواسطة جمل متفرقة في النص أو بواسطة تصريحاتها وأقوالها وسلوكها.⁵ » ومن هذا المنطلق لجأ بعض النقاد إلى تحديد هوية الشخصية الحكائيّة مصادر إخبارية ثلاثة:

- ما تُخبرنا به الرواية.
- ما تُخبر به الشخصيات ذاتها.
- ما تُستنسخه من أخبار عن طريق سلوكات الشخصيات.⁶

وثمة علاقات ثلاث تربط " الراوي العجائبي " بالكائنات العجائبية الأخرى تتمثل في:

- علاقة الرغبة (Relation désire)
- علاقة التواصل (Relation de communication)
- علاقة (Relation de lute)

وبحسب تودوروف فإنّ هذه العلاقات ذات صبغة تجريدية، ويمكن ملاحظتها في الرواية، إذ أنّ «الرغبة

دورا في مجرى الحكيم [...] وعجائبيتها تكمن في تكوينها الذاتي وطريقة تشكيلها لما هو مألوف. لذلك نؤكد أنّ هذه الشخصيات العجائبية قد تكون لها مرجعية نصية معينة تتداخل مع الشخصيات المرجعية والتخييلية¹⁶ وتتميّز هذه الرؤى بأنّها رؤى حلمية تلجأ إليها الشخصية لتحقيق رغباتها بالنّاقذ المغربي سعيد يقطين بأن «الشّخصية كيان متحول ولا يشكل سمة مميزة يمكن الاستناد إليه من أجل القيام بدراسة محايدة لنص الحكاية (...) أمّا الوظيفة فهي عنصر ثابت، وقار، ويعدّ في التحليل المحايث عنصرا مميزا لا يمكن الاستناد إليه من أجل تقديم علمي دقيق يقود إلى تحديد ماهية الحكاية.¹⁷»، وتروم الشخصية العجائبية كسر الرّتبة والمألوف، ناهيك عن خلخلة المضمرات الثقافية ولإيديولوجية. وما كان الرّوائي ليحدث تلك التغيّرات في بناء نصه الرّوائي، إلّا ليتجلى عمله بصورة تختلف تمام الاختلاف عن تلك النّمطية المعهودة. وقد لا يتحقق ذلك المبتغى إلّا عن طريق « مبدأ الانزياح عن المرجعيات الواقعية لحساب المدهش واللاواقعي وإذا كانت أبعاد الشّخصيّة الثلاثة (المادي/ النّفسي/ الاجتماعي) متحققة الوجود في الأدب الواقعي، فإنّ أدب الفانتازيا يعتمد إلى اشتراطات جديدة لتكوين الشخصية الروائية، أهمها مبادئ التّحول والتبدل وتماهي الإنسان مع اللاإنساني وخرق العرف الطّبيعي، ومن ثمّ إيجاد قوانين جديدة تتحكم في العملية البنائية.¹⁸ فالشخصية العجائبية تعطي النّص فرادته وتميّزه من خلال خاصيتي التحول و الامتساخ، ذلك أنّ الإنسان تواق لكلّ ما هو مغاير لواقعه المعيش.

و الشّخصية العجائبية تتجاوز بل تنتهك الواقع لتحقيق ذائقة المتلقي، والزّج به في رحاب الدهشة الجمالية والمتعة الفنية، ذلك لأنّ «الشخصية العجائبية ماهي إلّا مساحة مشتركة يجتمع فيها الواقعي واللاواقعي وإنّ طغى الأخير عليها، وهي تقنية فنية استخدمتها العجائبية الحديثة لتعبر عن أزمات الانسان المعاصر، لذلك جاء البناء الفني لهذه الشّخصيّة وفق رؤية جديدة لا تحتفي بالأبعاد الداخلية والخارجية فحسب، وإنّما تعمل على تقويض الصورة الثابتة للشخصية والعمل على هدم مرجعياتها الواضحة، ومن ثمّ إعادة تشكيلها بصورة غرائبيّة تتجاوز قوانين الواقع والطبيعة¹⁹ ومن ثمة فالشخصيّة العجائبيّة تتجاوز حدود المعقول، و اللاواقع، وتقوم بأفعال تُعجز البشر، بيد أنّها

على الرّغم من التقارب في المفاهيم، لأنّ الحكاية العجائبيّة تمتلك أقلّ حكايات بالمقارنة مع الأساطير الشّعبيّة.¹⁰ وتبقى الحكاية العجائبية متفردة بخصائص ومميزات تنقل متلقيها من عالمه الواقعي إلى عالم سحري مسكون لأنّها أي الحكاية العجائبيّة «تجري في جوّ من الرّعب وتنتهي ضرورة بحادث رهيبٍ نتيجته الموت أو الاحتفاء أو اللّعنة التي تصيب البطل.. وبعد ذلك تعود بداهة العالم إلى مجراها الطّبيعي، لذا تبدو الفضاءة خاصيّة للعجائبي، الذي يعيش ويمتص من الحثالة وبالأخص ممّا يرميه العلم جانباً من انفعالات واستمهامات مرعبة، تلك التي تؤكد لنا أنّ العالم المألوف قد يكون نفسه لغزا وكابوسا¹¹» وهنا تتجلى مسألة العجائبي بوصفه مصطلحا مطاطا، وميدانا رحبا يجمع عديد المتناقضات. بين الحقيقة والخيال من جهة، والتعمية والوضوح من جهة أخرى، والظاهر أنّ كلّ ما لا يقبله العقل والمنطق، وما لا يفسّر تفسيراً طبيعياً يعدّ عجائبيّاً.

ومن أبرز الدراسات التي أولت العجائبي أهمية بالغة ما توصل إليه النّاقذ البلغاري تودوروف الذي انطلق في تعريف العجائبي من كم هائل من القصص العجائبيّة، والذي وسم العجائبي بقوله: هو التردد الذي يجسه كائن لا يعرف غير القوانين الطبيعيّة فيما هو يواجه حدثاً فوق طبيعي حسب الظّاهر.¹² وذهبت النّاقدة غيبوبباية إلى أنّ تصور تودوروف لجنس العجائبي يعدّ من أدقّ التعريفات لضبط حدود هذا المصطلح إجرائيا ويؤكد بأنّ «العجائبية تتحقق فقط في لحظة التردد "le temps d'une histoire"، وبعد هذا التردد يقرر القارئ إمّا اعتبار أنّ قوانين الواقع قادرة على تفسير الظّاهرة، ومن ثمّ تصبح في إطار الغريب "ETRANGE" أو أنّ MERVEILLEUX " " ¹³ والملاحظ أنّ تودوروف يتخذ من عنصر التردد مقياساً لتحقيق عجائبية الأحداث. كما اشتغل تودوروف على «الظواهر اللاواقعية إمّا أن تكون قريبة من الواقع وتدمج في الغريب أو بعيدة عن الواقع وتدمج في العجيب.¹⁴

ماهية الشخصية العجائبيّة :

يرى سعيد يقطين بأنّ الشخصية العجائبية تنماز بوصفها « ذات الملامح المفارقة لما هو قابل للإدراك أو التّصور، وذلك لكونها مباينة لما هو مرجعي أو تجريبي، الشيء الذي يجعلها قابلة للتّمثّل والتّوهم».¹⁵ وقد شرح ماذهب إليه بالقول: «نقصد بالشخصيات العجائبية كلّ الشخصيات التي تلعب

تخلف أثرا جليًا من الدهشة و الخوف والفرع في نفسية المتلقي.

والراجع أنّ الفنّ وحده هو الذي يهدف إلى تجسيد المعاني الإنسانية، ولا عجب إن كانت الرواية ميدانه الخصب، والشخصية بالأخص مجاله الرّحب لا لشيء إلا لأتمها اللبنة الأساسية التي تتمحور حولها فكرة بناء العمل الفني، فالشخصية هي الوسيلة التي يعبر بها المبدع عن أفكاره ورؤاه ناهيك عن معتقداته، فتوظيفها لا يكون عبثيا بحيث « ينتجها ويبنيها بناء على تفاعله مع واقعه التجريبي، يرمي من وراء ذلك إلى تقديم رؤية للعالم الذي يعيش فيه من خلال هذا العالم يتصوره أو يتخيّل أنّه يراه، أو كما يراه وفق موقفه منه.²⁰ موقف يسجل من خلاله وجهة نظره أو بالأحرى تشخيص المحتمل واللامحتمل بطريقة مقلقة تجعل المتلقي يتردد بين تفسيرين للعالم بين ما هو واقعي مألوف أو فوق طبيعي متصور أو متخيل.

مستويات و أبعاد الشخصية العجائبية:

إنّ تنوع الشخصية العجائبية صعب على النقاد والدارسين رصدها إلا « عبر النصوص الروائية ذات التشكيل التعجبي، وانطلاقا من خصائصها الحاملة للامتساخ والتعارض من جهة ثمّ التحوّل والخرق للمألوف وفوق الطبيعي، من جهة ثانية²¹ وتكمن أهمية الشخصية العجائبية في « ملفوظها الغريب الذي يلامس حواف العقل الحقيقي.²² وتلكم خاصية تنفرد بها الشخصية العجائبية عن أنماط الشخصيات المتعارف عليها، إذ تمدّ النصوص بأفعال وأقوال تعبر حقًا عن الخلفية العجائبية للواقع الاجتماعي، ولعلّ هذا ما حدا بالنقاد " هامون " إلى القول بأنّ الشخصية لا «تشكل إلا من التكرار أو التراكم والتحوّل فقط، ولكن أيضا من التعارض مع شخوص الواقع الخارجي، وشخوص العالم الداخلي الذي تتحرك فيه، فالتعارض هو سمة أولى من سمات الشخصيات الفانتاستيكية.²³ وبذا يشكل التعارض والتحوّل والامتساخ عوامل إثراء وتنوع، وسمات أيضا تنفرد بها مروبات النصوص العجائبية، والتي تتميّز أيضا ب«تعددية الشخصيات الذين بأشكال عجائبية مختلفة من المألوف بها تحولات خارجية كأن تكون أعضاء الكائن الممتسخ عجائبية متعددة مبالغ في حجمها، أو ناقصة، وهي امتساخات تؤكد الدهشة، أو تحولات داخلية تتعلّق بتموجات الدّاخل النفسي، والذهني وعالم اللاوعي المظلم، وما يفرضه من استهجمات وهذيان.²⁴

ولاشكّ أنّ فيليب هامون من بين النقاد والمنظرين الذين أولوا الشخصية الروائية أهمية بالغة، وحاول الإلمام بهذا المكون السردي من جميع جوانبه، من حيث الأفعال و الأقوال، داخل المتن الحكائي، كما أنّه لم يغفل علاقاتها ببقية المكونات السردية، كلّ ذلك عالجه من منظور سمبولوجي خالص فهو « لا يقف عند التركيب اللغوي " العلامتي" الذي يقوم به النصّ فقط، إنّما هي حالة خاصة بنشاط القراءة.²⁵ ذلك أنّ وعي المتلقي يتعمق ويتجدد أكثر مع كلّ قراءة متجددة متأنية تخوله تأويلها، وتمكنه من فكّ شفراتها بل و أبعادها الفكرية والثقافية التي تمكنه من رؤية من منظور إنساني أرحب، وهذا من شأنه « البناء الذّ أقامه المتلقي للشخصية وهو في بداية القراءة أو منتصفها فإنّ صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النصّ الحكائي قد بلغ نهايته.²⁶ ومن ثمة أضحت علاقة القارئ مع شخوص النصّ علاقة قوامها فعل القراءة. تقول شلومبيت: « إنّ الشخصية في القصة تشيّد يركبه القارئ من إشارات متنوعة و متفرقة على طول النصّ²⁷ ومع كلّ فعل قرائي واعي تتوالد دلالات النصّ، وتتجدد من خلال ذلك طبيعة الشخصية، ومدى تأثيرها في المتلقي.

والظاهر أنّ ما قدّمه فيليب هامون من تصورات نظرية لمفهوم الشخصية قد فتح المجال أمام عديد النقاد و الدارسين للإثراء والإضافة من ذلك ما قام به سعيد جبّار الذّ أعاد تصنيف ترسمة هامون في ثلاثة مستويات تبعا لواقعية الشخصيات من متخيّلها على مستوى الخطاب السردي كالآتي:

1- الشخصيات الواقعية: هي التي تحيل على مرجع واقعي متفرد، ولا يمكنها أن تتعدد، هي شخصيات ذات مرجعية واقعية تاريخية.

2- الشخصيات المحاكاتية التخيلية: شخصيات قريبة من الواقعية التاريخية، إلا أنّها تحيل على المتعدد...دون أن تكون له ملامح متميزة.

3- شخصيات تخيلية استهامية: لا ترتبط بالواقع، مرجعيتها ثقافية معرفية كالشخصيات (الأسطورية الخارقة)، صفاتها غير صفات باقي الشخصيات العادية، فهي تنفرد بابتعادها عمّا هو واقعي.²⁸ وبالتالي فإنّ حضور العجائي في أي عمل روائي لا يتحقق إلا « بتنوع الشخصيات والأفعال المحدنة، إذ لا يمكن وجود هذا النوع إلا بحضور شخوص أخرى واقعية

الموعود، ولم ينج منهم سوى من كان يتعبد الله بإخلاص في جبل قاف، وقصر عالية بنت منصور الذي حمله الجبار جرجيس على جناحيه بمجرد أن استشعر حدوث الطوفان. فأعادته إلى جبل قاف، أما الرواية الأخرى فتقول: إن جميع أهل الروابي أتى عليهم الزلزال إلا الذين كانوا يعارضون الاغتيال والقتل، إذ فُتحت لهم أبواب "عالية بنت منصور"، وكان شعار الدّخول: لا اغتيال، لا ظلام، بل محبة وسلام.³¹

الشخصيات العجائبية في المدونة:

عالية بنت منصور : هي الشخصية المحورية المحركة للأحداث: فمنها المنطلق، وإليها المنتهى، ورغم أنها امرأة غير عادية، وغير واضحة المعالم إلا أنها « كائن طاهر رفيع الشّأن تجمع بين كلّ مواصفات الحياة، ومواصفات الجمال العظيم دون أن تكون ذكرا أو أنثى أو جنس أو ملاكا.³² » إن عالية بنت منصور شخصية عجائبية تستمد حضورها من عوالم الأسطورة، إنها مفهوم، لا بل دور ووظيفة ليس إلا، مفهوم سام، وقيمة فنية وجمالية. وتحيلنا هذه الشخصية على عالم غامض مليء بالتناقضات، عالم تلبست فيه الأشياء، فالخير والشر سيان، وكذا الحق والباطل صنوان، وثمة من زعم أن « عالية بنت ماهي إلا ذلك التجلي للواقع الجزائري المفعم بالجراح و الأنان، جزائر التسعينات، جزائر واقع من الصّعب فهمه، وإدراك مراميه، جزائر الغموض والإبهام المستمد من عدم القدرة على وعي الأحداث بكلّ أبعادها وأطرافها الفاعلة، والوصول إلى أسبابها ودوافعها خلال الإحاطة بسياقها التاريخي والظروف المحيطة بها.³³ » إن عالية بنت منصور تشكل الدنيامو المحرك للأحداث في الروابي السبع التي استشرى الفساد الأخلاقي في كلّ مفاصلها، وأضحى الوصول إلى عالية مبتغى الجميع إنسهم وجنهم حتى عفريتهم، وهذا ما جعل هذه الشخصية المحورية تسهم في إضاءة النصّ رمزياً ممّا ساعد على خلخلة البنى العميقة التي يطفح بها هذا النصّ الأسطوري وصولاً إلى إمتاع المتلقي وإدهاشه لأنّ العجيبات إنّما تكن من البعيدات، مصداقاً لقول من قال (وما يحدث العجب يحدث اللذة)³⁴

العفريت جرجيس: الظاهر أنّ هذه الشخصية هي الأكثر عجائبية، والأكثر سفكا للدم على وجه الأرض، فجرجيس الجبار حوّل الأرض من جنة عجيبة تسرّ الناظرين إل مكان تنبعث منه النّتانة بسبب ذبح كلّ الديناصورات، ساعده على اقتراف جرمه شكله فهو مارد جبار يشبه الجبل الوحشي،

تحتك بها فيؤجج الصراع بفعل محركات التّحول و الامتساخ الظّاهري والتّفسي الداخلي. أو أدوات سحرية وغيوب، وما هو فوق طبيعي. مما يخلق واقعا آخر ²⁹ » إنها بالفعل شخصية موجودة في واقعنا المعيش، لكنّ أفعالها وتصرفاتها هي من يلبسها لبوسا عجائبيّا محضا.

تمظهرات الشخصية العجائبية في الرواية الجزائرية:

لعلّ نظرة متأنية غير عجلية - في بعض المتون الروائية الجزائرية المعاصرة - قصد البحث عن بعض مظاهر الشخصية العجائبية في كتابات الرواد الروائيين الجزائريين من أمثال (بن هدوقة - وطّار - مرتاض - واسيني ...)، استرعى انتباهنا التوظيف الهائل للشخوص العجائبية في روايات وطّار (الحوات والقصر)، ومرتاض في روايتي (وادي الظلام، ومرايا متشظية)، وقد أثرت أن تكون رواية مرايا متشظية لمرتاض، - ونظرا لما تعجّ به من شخوص عجائبية - نموذج دراسي، ولكن، وقبل البدء أشير إلى أنّ عبد الملك مرتاض يعدّ واحدا من الروائيين الجزائريين الذين يحتفون بلغة الضاد أيم احتفاء، بل ومن القلائل الذين يراهنون في كتاباتهم السردية على انتقاء نصوص تطمح إلى تجاوز الرتبة، وتنشد تشريح الواقع، ومحاولة إماطة اللّثام عن الطّابوهات والمسكوت عنه.

ولمّا نروم البحث في الكتابة "المرتاضية" نجدها تستمدّ ألياتها من وعي نقدي أولا باعتبار أنّ « الكاتب يمارس النقد، ويشتغل على النصّ السردى والشّعري معا ومن ذلك، فإنّ الممارسة الإبداعية عنده تستند إلى رافد مرجعيته إدراك سرّ الكتابة التي لا يجب أن تبقى خارج إطار الواقع ³⁰ » واقع لا يتمّ تشريحه إلا بالسمو بالأحداث إلى عتبة الفعل الجمالي، بعيدا عن التسطيط الفجّ الممل.

في رحاب رواية مرايا متشظية:

تشكل رواية " مرايا متشظية " من القصص الأسطورية والحكايات العجيبة، تدور وقائعها في سبع روايات، يتزعم كلّ رابطة شيخ من الشيوخ، وكان كلّ شيخ يرى نفسه الرّعيم الأجدد بالظّفر بالمرأة الفاتنة "عالية بنت منصور"، ولهذا السبب انتشرت بينهم ثقافة الاغتيال و القتل والانتقام والدم...إنّها رواية تصور عدم التّواصل بين شيوخ الروابي السبع...أما نهاية الرواية فكانت دراماتيكية متشظية " كالمرايا"، بحيث تواردت عدّة روايات مختلفة، فثمة من قالت: إنّ كلّ الروابي ستؤول إلى الزوال بسبب طوفان الدّم

بداية الزمن.³⁹ «وتتجلى عجائبية القصر في النور الذي لا يفتأ يتوهج ويتلألأ- قصر معلق بين السماء والأرض- تجري من تحته السواقي قصر تضاربت الآراء حول من بناه.

وفي الختام: نخلص وبناء على ما قُدم إلى أن الرواية فن أدبي قصصي بامتياز، ومرآة عاكسة لفكر إنساني، فمن خلالها يقدم الروائي رؤى وتصورات مختلفة تخلق المدهش والعجيب في نفس المتلقي، والرواية الجزائرية المعاصرة، ومنذ انطلاقتها الفنية المتفردة كانت تروم التحرر من قيود الكلاسيكية التي لم يحالفها الحظ من رصد الواقع بكل ظواهره وبواطنه، فإن ذلك ما كان ليتحقق لولا سعي بعض الروائيين من أمثال عبد الملك مرتاض إلى خلق واقع تخيلي للتعبير عن هموم وآمال المجتمع. لأنه صار من « العسير معرفة العالم الخارجي وتصوره بدون ذلك المجاز الجوهري، وتلك الأسطورية الكلية، وبغير أن تنفتح روحنا الذاتية في فوضى الأشياء. لنعيد صنعها وخلقها خلقا جديدا طبقا لتصوراتنا.⁴⁰»

و رواية " مرايا متشظية " التي استأنسنا ببعض شخصياتها العجائبية كانت بمثابة « رحلة عبر الذاكرة من ذاكرة إلى أخرى. وتلتئم جميعها داخل ذاكرة النص، وهي لحظة لا يتوقع زمانها ومكانها. ⁴¹» ذاكرة تمتع من الأسطورة بقدراتها الإيحائية، وطاقاتها الرمزية، وشخصها العجائبية. إن نزوع مرتاض إلى الأسطورة والعجيب يمثل علامة فارقة في المرايا المتشظية، ومعادلا تخيليا، فتح آفاقا جديدة لم نعهدها في روايات مرتاض السابقة، بيد أن هذه النزعة التجديدية لم تبرز إلا عبر التجريب، والتجاوز بل والتآمر الذي يعد " يشخص فترات القطيعة في التواصل الإبداعي ووافق بالنسبة للكاتب والقارئ تحررا من المصطلحات السائدة، وهو إذ يرصد أزمة في الأدب يؤكد لنا أن كل شيء يمكن أن يكون أدبا وأن الأدب يعرف ذاته...لاستعداده للتشبث بأي شيء.⁴² »، ويتأتى ذلك التشخيص من خلال من خلال صور الشخصيات المتدافعة، والتي تهدف للابتعاد التام عن المعنى القريب، وشحن اللغة بالمجازات الاستعارية التي تخلف وراءها أثرا على المتلقي، وهذا تميزت الرواية المتراضية الجديدة بتجاوز لآفاق اللغة الواحدة لبلوغ تعدد لغوي سهل بروز " الكتابة كموضوع إشكالي يعكس تمزق الروائي بين واقع معقد و أشكال جديدة لا تمهل، وتراث كتركيبة لغوية وجمالية، وكبينة ذهنية يضغط عليه بكل قوة، وثقافة

يقال له جرجيس الجبار. فأول ما جاء صنعت له من معدن الفولاذ. كان ذلك السيف متوارثا عندهم من عهد سليمان بألف قرن.³⁵»

شيوخ القبائل السبع: هم سبعة شيوخ يتولى كل واحد منهم إدارة شؤون ربوة من الروابي السبعة.. يزعم كل واحد منهم بأنه له الأحقية بالزواج بكاملة الجمال والأوصاف عالية بنت منصور والتي مهرها سفك الدماء وشرها، ولعل ما يميز هذه الروابي ثقافة الاغتتيال والقتل والاغتصاب. فمن استطاع قتل أخيه قتله [...] يحكمهم قانون الغاب.³⁶ قانون لا مكان فيه للضعفاء، وإنما هم وقود لنيران يؤججها الأقوياء، وهكذا تعرية الواقع، هو تعرية في الحقيقة لمعاني مخبوءة في شقوق الواقع المزري.

الوحش والبعر العجيبين: يتميز الوحش العجيب بأن له سبعة رؤوس، ونصف أذن، لايمشي إلا على رجل واحدة، يشبه غول وادي السيسبان.... أما البعر العجيب فيبدأ سيارا ثم ينتهي طيارا.³⁷

الصبيبة عالية بنت منصور: شخصية عجيبة ومثيرة في الوقت نفسه، جمالها خارق ساحر أسر، فلاهي إنسية ولا هي جنية « لا تعرف هل هي من الكائنات الملائكية على الأرض؟ أم هي من الكائنات الحية أم هي خلق عجيب من الكائنات.³⁸؟ » صبيبة فاتنة فتانة أهدتها عالية بنت منصور إلى شيخ قبيلة بني بيزان، وكانت السبب في طرده من القصر لأنه أفتتن بها وكاد يقع في المحذور لولا تدخل عالية بنت منصور في الوقت المناسب.

وغير خاف أن الرواية تطفح بعديد الشخصيات العجائبية من ذلك العصا السحرية: التي تنفجر منها الحكمة، وكذا الصبيبة العجيبة الجنية، والتي كانت ذات قوة خارقة، ويقال أن هذه الصبيبة اللبوة لو ترى الشمس تطير مباشرة إلى أهلها ببلاد الجن، وتستوقفنا شخصيات عجيبة تتمثل في دناتنا ابنة ملك الجن، كانت ذات جمال خارق، واللافت أيضا أن الرواية لا تحفل بالشخصيات العجيبة فقط، وإنما هي تحتوي على ظواهر فوق طبيعية، من ذلك العصا السحرية، وعين الحياة، والعين العجيبة. و يعد القصر العجيب من أكثر الظواهر العجائبية اللافتة، وفيه وتتجلى عجائبيته في صورة أوضح كونه بني من قوارير النور، وشيد من زجاج فاخر، ناهيك عن المقام العالي الرفيع إنه قصر « تفنن في بنائه الصالحون، والملائكة، والعفاريت المحكوم عليها بالأشغال الشاقة منذ

- 13- غيوباباية: الشخصية الأنثروبولوجية في رواية " مائة عام من العزلة " ل: غابرييل غارسيا ماركيز. دار الأمل للطباعة والنشر التوزيع. 2012.
- 14- فيصل غازي محمد نعيي: شعرية المحكي دراسات في المتخيل السرد العربي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- 15- حسن خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص: 234، نقلا عن: آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية
- 16- محمد تحريشي في الرواية والقصة والمسرح، قراءة في المكونات الفنية والجمالية السردية، دار حلب.
- 17- محمد سالم الأمين الطلبة، منشورات اللغة في السرد العربي المعاصر (دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد)، ط1. 2008.
- 18- نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب، مباحث التأسيس والإجراء ط1. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. 2012.

¹- نعمان بوقرة: لسانيات الخطاب، مباحث التأسيس

والإجراء ط1. دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. 2012. ص: 347.

² - شعيب حليفي: شعرية الرواية الفانتاستيكية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط، ط1، 2009، ص: 200.

³- جميلة قيسمون: الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر. 2000، ع13، ص: 195.

⁴ - نفسه، الصفحة نفسها

⁵ - ينظر حميد لحمداني: بنية النص السرد، المركز الثقافي القومي، ط1، 1991، بيروت. ص: 50.

⁶- حسين علام: العجائي في الأدب من منظور شعرية السرد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف. الجزائر، ط1، 2010، ص: 111.

⁷ - ينظر تزفتان تودوروف: الحكاية الأدبية، تر: عبد العزيز شبيل، مجلة العربي والفكر العلمي، ع10 1990، ص: 110.

⁸ - حسن الأشلم: الشخصية الروائية عند خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العام، ليبيا. سرت. 2006، ص: 10.

⁹ - فيصل غازي محمد نعيي: شعرية المحكي دراسات في المتخيل السرد العربي، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ص: 57.

¹⁰- حسين علام: العجائي في الأدب من منظور شعرية السرد، ص: 49.

¹¹ - نفسه، ص: 49.

جديدة يتحرك فيها " ⁴³ ويبدو وبوضوح أنّ الشخصيات الرئيسية في هذه الرواية - عالية بنت منصور - جرجريس- شيخ الزواي - اتّسمت بكثافتها النفسية السّامية التي امتزج فيها الواقعي باللاواقعي. في حين جاءت الشخصيات الثّانوية - الصّبيّة العجيبة -دنانا العجيبة - استمدت عجائبيتها من التراث الخرافي الأسطوري، ومن الغموض والإيحاء والدلالة. كلّها عوامل تضافرت عبّر من خلالها مرتاض عن توق النّاس إلى الانفلات من برائن الواقع المألوف، والارتقاء والتّراخي وسط العجيب والخارق وغير المألوف.

قائمة المراجع:

- 01 - تزفتان تودوروف: مدخل إلى الأدب العجائي، تر: الصّديق بوعلام، دار الكلام الرباط. المغرب. ط1. 1993
- 02- جعفر بايوش: الأدب الجزائري الجديد- التجربة والمآل، مركز البحث والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية- الجزائر عاصمة الثقافة العربية.
- 03- جميلة قيسمون: الشخصية في القصة، مجلة العلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر. 2000، ع13.
- 04- حسن الأشلم: الشخصية الروائية عند خليفة حسين مصطفى، مجلس الثقافة العام، ليبيا. سرت. 2006.
- 05- حسين علام: العجائي في الأدب من منظور شعرية السرد، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف. الجزائر، ط1، 2010.
- 06- حميد لحمداني: بنية النصّ السرد، المركز الثقافي القومي، ط1، 1991، بيروت.
- 07- سعيد جبّار: الخبر ف السرد العربي، الثوابت والمتغيرات الشركة النشر والتوزيع. المدارس. الدار البيضاء، المغرب ط1، 2004.
- 08- سعيد يقطين: قال الراوي (بنيات الحكاية في السيرة الشعبيّة)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997.
- 09 - شعيب حليفي: شعرية الرواية الفانتاستيكية، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، دار الأمان الرباط، ط1، 2009.
- 10- عاطف جودة نصر: الرّمز الشعري عند الصّوفيّة، دار الأندلس، دار الكندي، بيروت. ط1. 1978، 76.
- 11- عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية في النصّ الروائي المغاربي الجديد، منشورات الضفاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013
- 12- عبد الملك مرتاض: مرايا متشظية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، د.ت.

- ³⁹ - عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفيّة، دار الأندلس، دار الكندي، بيروت. ط1. 1978، ص: 76.
- ⁴⁰ - جعفر بايوش: الأدب الجزائري الجديد، التجربة والمآل، مركز البحث و الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. الجزائر عاصمة الثقافة العربية، ص: 68.
- ⁴¹ - محمد الباردي: سحر الحكاية، المروي والراوي والميتاروائي في أعمال إلياس خوري، مركز الرواية العربية cra، صفاقس، ط1، 2004، ص: 162.
- ⁴² - حسن خمري، فضاء المتخيل، مقاربات في الرواية، منشورات دار الاختلاف، الجزائر، ط1، 2002، ص: 234، نقلا عن: آمنة بلعلي، المتخيل في الرواية الجزائرية، ص: 149.
- ¹² - تزفتان تودوروف: مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، دار الكلام الرباط. المغرب. ط1. 1993. ص: 18.
- ¹³ - غيبوباية: الشخصية الأنثروبولوجية في رواية "مائة عام من العزلة" ل: غابرييل غارسيا ماركيز. دار الأمل للطباعة والنشر التوزيع. 2012. ص: 22.
- ¹⁴ - سعيد يقطين: قال الراوي (بنيات الحكاية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997. ص: 93.
- ¹⁵ - نفسه: 99.
- ¹⁶ - ينظر غيبوباية: الشخصية، م، س. ص. ن.
- ¹⁷ - فيصل غازي النعيمي شعرية المحكي، م، س، ص: 84.
- ¹⁸ - نفسه، ص: 114.
- ¹⁹ - سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي
- ²⁰ - غيبوباية: الشخصية، م، س. ص: 87.
- ²¹ - نفسه، ص، ن.
- ²² - شعيب حليفي: شعرية الرواية الفانتاستيكية، م. س، ص: 199.
- ²³ - غيبوباية: الشخصية، م، س. ص: 79/78.
- ²⁴ - نفسه، 57.
- ²⁵ - نفسه، الصفحة نفسها.
- ²⁶ - نفسه، الصفحة نفسها.
- ²⁷ - سعيد جبار: الخبر ف السرد العربي، الثوابت والمتغيرات الشركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2004. ص: 68.
- ²⁸ - ينظر محمد تحريشي في الرواية والقصة والمسرح، قراءة في المكونات الفنية والجمالية السردية، دار حلب، ص: 50.
- ²⁹ - عبد القادر بن سالم: بنية الحكاية في النص الروائي المغاربي الجديد، منشورات الضفاف، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص: 179.
- ³⁰ - عبد الملك مرتاض: مرايا متشظية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة الجزائر، د. ت، ص: 250.
- ³¹ - المدونة: 68.
- ³² - محمد تحريشي: في الرواية والقصة والمسرح، ص: 50.
- ³³ - المدونة: ص: 134.
- ³⁴ - المدونة، ص: 06.
- ³⁵ - المدونة: ص: 13.
- ³⁶ - المدونة: 36-37-112.
- ³⁷ - المدونة: 132.
- ³⁸ - المدونة: 07.